# تساؤلات منطقية وتساؤلات فلسفية

د. محمود عزالدين
مدرس سابق في قسم الرياضيات - كلية العلوم – جامعة دمشق

من فطرتي - وربما من الفطرة البشرية - سرد حدث ما حسب التسلسل التاريخي لمجرياته، وذلك: انطلاقا من المقدمة، مرورا بالحبكة، وصولا إلى النتيجة. في هذا الأسلوب تشويق مستمر لمعرفة النتيجة. بالمقابل مقترن هذا الأسلوب بمخاطر: كاحتمال ضياع القارئ في شعاب الحبكة وعدم تمكنه من المتابعة لمعرفة النتيجة أو احتمال خيبة أمله في حال عدم تطابق النتيجة مع النتيجة، التي يمكن أن يكون قد استقرأها من خلال قرأته المقدمة والحبكة.
خلافا لهذا الأسلوب كنت خلال أبحاثي في الرياضيات أبدأ بالنتيجة، وبعد الموافقة المبدئية على النتيجة - التي كنت أستقرئها من خلال نظرات الحضور - أقوم بعرض الفكرة التي ألهمتني للنتيجة "وهذا بمثابة المقدمة"، ثم أقوم بالبرهان على صحة النتيجة "وهذا بمثابة الحبكة". في هذا الأسلوب يختفي عنصر التشويق لمعرفة النتيجة، فالنتيجة تُذكر منذ البدء. بالمقابل ذكر النتيجة في البدء هو بحد ذاته مفاجأة موافقة أو معارضة لمعرفة أو قناعة القارئ، هذا إن كان للقارئ معرفة أو قناعة في هذا المجال. ويكمن التشويق في هذا الأسلوب في معرفة كيف تم التوصل للنتيجة.
أما ميّزة هذا الأسلوب عن سابقه فهي إطلاع القارئ منذ البدء على نتيجة ما في مجال ما، فإما أن يكون للقارئ باعا في هذا المجال فيقرأ كيف تم التوصل لهذه النتيجة أو أن لا يكون له باعا فيه فيعتق قرأته. وللميّزة هذه تحديدا سأبدأ بالنتيجة، النتيجة التي توصلت إليها بعد تأمل وتفكير على مدى قرابة أربعة عقود من الزمن، ومن ثَم أقوم بسرد العوامل والظروف الجوهرية التي أعتقد أنها السبب في التوصل إلى هذه النتيجة.

## تساؤلات منطقية وتساؤلات فلسفية

بعد التحول الجذري الذي طرأ على حياتي وتفكيري في نهاية العقد الثاني من عمري استمر إيماني بوجود الله، وتوطدت علاقتي مع الله، فأصبحنا خليلين لم يبق سوى الأثير فاصلا ووسيطا بيننا، وأضحيت صوفيا متأملا على مبدأ القول الصوفي المأثور: "ساعة تأمل خير من سنة عبادة".
ساعات التأمل هذه - على مدى أربعة عقود من الزمن - طرحت عليّ تساؤلات عديدة لم أجد لها أجوبة مقنعة. يمكن تصنيف هذه التساؤلات في صنفين: الصنف الأول عبارة عن تساؤلات منطقية تدور حول

أحداث ذُكرت في الكتب السماوية أرى أنها لا تتوافق مع صفات للّه ذُكرت في الكتب السماوية ذاتها، والصنف الثاني عبارة عن تساؤلات فلسفية تدور حول أحكام ذُكرت في الكتب السماوية أرى أنها لا تتوافق مع المبادئ الفطرية للأخلاق والتشريعات البشرية والإنسانية.

**الأساس والمفاهيم والفرضيات** .. تفاديا لسوء الفهم أحبذ الاتفاق على الأساس الذي سأستند إليه وعلى المفاهيم والفرضيات التي سأستخدمها في طرح هذه التساؤلات. فقد يكون فهمي لهذا الأساس أو فهمي لهذه المفاهيم والفرضيات مغايرا للفهم العام لها، رغم أنه أساس معروف وأنها مفاهيم وفرضيات معروفة لا جديد فيها على الإطلاق.
أولا .. سأعتمد مبدأ المنطق الصوري كتشريع وحيد للمحاكمات المنطقية، وأُذكّر به: لا يقبل مبدأ المنطق الصوري سوى احتمالين: إما صحة القضية أو خطأ القضية، ولا يوجد احتمال ثالث. اعتمدت مبدأ المنطق الصوري لأن الرياضيات تعتمده. ومن المعروف أن النتائج الرياضية هي الحقائق المطلقة الوحيدة الأزلية والأبدية المعترف بها من قِبل جميع الحضارات والثقافات والفلسفات البشرية والإنسانية.
ثانيا .. سأعتمد الفرضيات "الوجود، الوحدانية، الصفات، صفة القادر، صفة العالِم، صفة العادل". سأوضّح هذه الفرضيات فيما بعد، متجاوزا التناقضات مع مبدأ المنطق الصوري، لكون هذه الفرضيات هي القاعدة لطرح هذه التساؤلات.
ثالثا .. سأُذكّر بالمفاهيم "الكتب السماوية، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، الوصايا العشر" في مواضع مناسبة، لكونها مفاهيم أساسية في طرح هذه التساؤلات.
رابعا .. سأطرح هذه التساؤلات تعليقا على أحداث أو أحكام وردت في القضايا التالية: "الخلق، المعصية، الخطيئة، القصاص، الأخلاق، العبودية، العدد سبعة، الجن". وهذا هو جوهر الموضوع وبيت القصيد.

**الكتب السماوية** .. من المعروف أن اليهود هم أصحاب كتاب "التوراة"، وأن المسيحيين هم أصحاب كتاب "الإنجيل"، وأن المسلمين هم أصحاب كتاب "القرآن". ويعتقد أصحاب هذه الكتب أن كتبهم أُنزلت إليهم من اللّه من السماء بأساليب مختلفة، لذا تدعى "الكتب السماوية". وتوجد بين أصحاب تلك الكتب خلافات عقائدية جوهرية.

**اليهود** .. يعتقد اليهود بكتابهم "التوراة" فقط، ولا يعتقدون بالكتابين الأخريين "الإنجيل والقرآن". ويقوم اليهود بإجراء عملية الختان للذكور، كعلامة جسدية أبدية تطبيقا للعهد الذي أبرمه اللّه مع إبراهيم، وذلك استنادا لما ذُكر في التوراة: "وقال اللّه لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر

في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي (التكوين،17:9-14)". ومن المعروف أن أصحاب الكتب السماوية يعتبرون أنفسهم جميعا من نسل إبراهيم.

**المسيحيون** .. يعتقد المسيحيون بالكتابين الأوليين "التوراة والإنجيل" فقط، ولا يعتقدون بالكتاب الأخير "القرآن". واعتقادهم بالكتاب الأول "التوراة" جاء استنادا لما ذُكر في الإنجيل، حيث يقول المسيح: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل (متى،17:5)". لذلك يعتبر المسيحيون التوراة والإنجيل وملحقاتهما كتابا واحدا يدعونه "الكتاب المقدس". يدعون التوراة وملحقاتها "العهد القديم"، ويدعون الإنجيل وملحقاته "العهد الجديد". هذا على الرغم من أنهم لا يطبقون تعاليم التوراة بحذافيرها، كإجراء عملية الختان للذكور على سبيل المثال.

**المسلمون** .. يعتقد المسلمون بالكتب الثلاثة "التوراة والإنجيل والقرآن". واعتقادهم بالكتابين الأوليين "التوراة والإنجيل" جاء استنادا لما ذُكر في القرآن: "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (آل عمران،3). قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (البقرة،136). قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (آل عمران،84)". إلا أن المسلمين يعتبروا الكتابين الأوليين "التوراة والإنجيل" الحاليين محرّفين عن الكتابين الأصليين السماويين. ولكن لا توجد لديهم نسخة عن الكتابين الأصليين لتحديد مواضع التحريف في الكتابين الحاليين. ولم أجد في القرآن نصا صريحا يحدد مواضع التحريف في التوراة والإنجيل الحاليين، إنما وجدت النص التالي: "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (البقرة،79)". وتفسير الجلالين لهذا النص: "غيّر اليهود صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أُنزل". علاوة على ذلك يعتبر المسلمون كتابهم أنه النسخة المعدلة للكتابين الأوليين الأصليين، لهذا لا يطبقون تعاليم الكتابين الأوليين لا السماويين ولا المحرّفين سوى قيامهم بإجراء عملية الختان للذكور، كاليهود وخلافا للمسيحيين. هذا على الرغم من أن وجوب إجراء عملية الختان غير مذكور في كتابهم، وما عداه لا يطبق المسلمون سوى تعاليم كتابهم.

الترغيب والترهيب .. من المعروف أن جوهر الكتب السماوية هو الدعوة للإيمان بالله مرفقة بالترغيب والترهيب، وأذكر على سبيل المثال بعض ما ورد في القرآن: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله

وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (الأعراف،158). ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفّر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (التغابن،9). إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم (محمد،12). والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (الحديد،19). ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (الفتح،13)".

التفكير في الله وصفاته .. يرى البعض أن التفكير في الله وصفاته فوق طاقة العقل البشري. ولكن ورد في القرآن: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (البقرة،286)". فإذا صحت فكرة "أن التفكير في الله وصفاته فوق طاقة العقل البشري" فيصبح الإيمان بالله غير واجب. لا وبل أكثر من ذلك، فقد وورد في القرآن: "وما ربك بظلام للعبيد (فصّلت،46)". فإذا صحت فكرة "أن التفكير في الله وصفاته فوق طاقة العقل البشري" فتصبح جميع آيات الترغيب والترهيب ظلما للعبيد. إذاً بناءا على هذه المحاكمة فالتفكير في الله وصفاته ليس فوق طاقة العقل البشري. وهذا ما أقوم به منذ أربعة عقود من الزمن.

**فرضية الوجود** .. هل الله موجود أم غير موجود؟ في حال افتراض أن الله غير موجود تصبح هذه التساؤلات هباء منثورا وينتهي المشوار، لذا سأفترض وجود الله لنتابع المشوار.

**فرضية الوحدانية** .. هل الله الذي افترضت وجوده في فرضية الوجود هو ذاته الإله المُعرّف من خلال صفاته المذكورة في الكتب السماوية أم هو إله آخر؟ في حال افتراض أن الله الذي افترضت وجوده في فرضية الوجود هو إله آخر تصبح هذه التساؤلات هباء منثورا وينتهي المشوار، لذا سأفترض أن الله الذي افترضت وجوده في فرضية الوجود هو ذاته الإله المُعرّف من خلال صفاته المذكورة في الكتب السماوية لنتابع المشوار.

**فرضية الصفات** .. ذُكرت في الكتب السماوية صفات عديدة لله. وعلى سبيل المثال: ذُكرت في القرآن صفات لله شبيهة بصفات الإنسان "السميع البصير (غافر،20). الحكيم العليم (الزخرف،84). الغفور الرحيم (الشورى،5)"، وذُكرت صفات كصفات مطلقة لصفات الإنسان "إن الله على كل شيء قدير (البقرة،20)"، وذُكرت صفات فوق صفات الإنسان "قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (المائدة،109). لا إله إلا هو يحي ويميت (الأعراف،158)". وتوجد اختلافات جوهرية في صفات الله فيما بين الكتب السماوية، أذكر اثنين منها.

**الرب إله إسرائيل** .. ورد في التوراة: "وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية (الخروج،1:5)". فالتوراة تحدّد ألوهية الرب على شعب بعينه "إسرائيل" دون سواه من الشعوب. بينما ورد في القرآن: "وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالَمين (الأعراف،104)". فالقرآن يطلق ألوهية الرب على جميع الشعوب "العالَمين".

**الله ثلاثة أقاليم** .. ورد في الإنجيل: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السماوات قد انفتحت له فرى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه. وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (متى3:16-17)". وتفسير الكتاب المقدس لهذه الأحداث: "إن تعاليم الثالوث معناه أن الله ثلاثة أقاليم، ولكنه واحد في الجوهر، الله الآب تكلم، والله الابن اعتمد، ونزّل الله الروح القدس على يسوع". لم أجد في التوراة وملحقاتها ولا في القرآن هذه الصفة لله.

الخير والشر .. ينطلق أصحاب الكتب السماوية من الاعتقاد أن صفات الله هي صفات الخير وأن صفات الشيطان هي صفات الشر، فالله هو قطب الخير والشيطان هو قطب الشر، ويجذب هذان القطبان المتنافران الإنسان إليهما. لهذا للإنسان صفات خيّرة تشبه صفات الله وصفات شرّيرة تشبه صفات الشيطان، والإنسان الخيّر هو إنسان أقرب إلى الله من قربه إلى الشيطان، والإنسان الشرّير هو إنسان أقرب إلى الشيطان من قربه إلى الله.

وبما أنه لا يوجد مفهوم مطلق للخير، ولا يوجد مفهوم مطلق للشر، فينطلق أصحاب تلك الكتب من الاعتقادات الضمنية: أن مفهوم الخير في صفات الله هو بعينه مفهوم الخير في ثقافاتهم وفلسفاتهم، وأن مفهوم الشر في صفات الشيطان هو بعينه مفهوم الشر في ثقافاتهم وفلسفاتهم. وينبثق عن هذا الاعتقاد نقطتين. النقطة الأولى: مفاهيم الثقافات والفلسفات – حتى ثقافات وفلسفات أصحاب تلك الكتب، المقيدة والمكبوحة بتلك المعتقدات – تتغير مع مرور الزمان وأحيانا مع تغير المكان، ويتغير معهما مفهوم الخير ومفهوم الشر. النقطة الثانية: ما هو خير لأصحاب تلك الكتب "كالنصر في حرب مثلا" قد يكون شرا للمعادين لأصحاب تلك الكتب "كالهزيمة في تلك الحرب"، والعكس بالعكس. لهذا فإن صفات الله المذكورة في الكتب السماوية ليست مسلّمات في ثقافات وفلسفات جميع الشعوب والأقوام. والدليل على ذلك وجود شعوب وأقوام تألّه الشيطان.

نظرة تاريخية .. توجد فلسفات عديدة في صفات الله "كفلسفة ابن رشد"، كما توجد فلسفات في استخلاص الصفات الجوهرية والأساسية لله "كفلسفات المعتزلة". وللأسف لا تكف معرفتي الدينية والفلسفية حتى لمجرد قراءة موضوع من مواضيع إحدى هذه الفلسفات. هذا في مجال العقيدة الإسلامية، أما فيما يتعلق بالعقيدة المسيحية فتوجد فلسفات أكثر تعقيدا من الفلسفات السابقة، ولا أعرف شيئا عن هذه الفلسفات في العقيدة اليهودية. المقصود من ذلك: أني لا أدري فيما إذا كانت تساؤلاتي هذه قد طُرحت في تلك الفلسفات أو في فلسفات أخرى. ومن جهة أخرى لا حاجة لي أن أدري أو لا أدري فالعقل والمنطق يقرّان بأن تساؤلاتي هذه، لا وبل ما هو أكثر وأعمق منها، لا بد وأن طُرح خلال آلاف السنين منذ نشوء هذه المعتقدات، والدليل على ذلك نشوء تلك الفلسفات. ولكن على أي حال أطرح تساؤلاتي هذه بعد أكثر من ألف عام من نشوء تلك الفلسفات، وما يشجعني على ذلك هو التطور الهائل الذي طرأ على العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية "الفضائية، الفيزيائية، الكيميائية، الحيوية، الجيولوجية"، التي أدت لتغير جذري في مبادئ الفلسفة وحتما في مبادئ تلك الفلسفات.

**صفة القادر** .. وجدت في التوراة خمسة نصوص يوصف فيها الله بـ"القادر على كل شيء"، وعلى سبيل

المثال: "وقال يعقوب ليوسف اللّٰه القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني (التكوين،3:48)". لم أجد في الإنجيل نصا صريحا يوصف فيه اللّٰه بـ"القادر على كل شيء"، إنما وجدت في ملحقات الإنجيل عشرة نصوص، وعلى سبيل المثال رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: "وأكون لكم أبا وانتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء (18:6)". أما في القرآن فقد وجدت سبع وثلاثون نصا يحوي عبارة "إن اللّٰه على كل شيء قدير"، وعلى سبيل المثال: "إن اللّٰه على كل شيء قدير (البقرة،20)".

وود في القرآن الشكل التطبيقي لعبارة "إن اللّٰه على كل شيء قدير": "بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (البقرة،117). قالت ربِ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك اللّٰه يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (آل عمران،47). ما كان للّٰه أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (مريم،35). هو الذي يحي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (غافر،68). إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (النحل،40). إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يس،82)".

معضلة القادر .. لا يوجد مَن هو قادر على كل شيء في المنطق الصوري. فلو وجد مَن هو قادر على كل شيء فأمامه إمكانيتان لا ثالث لهما. الإمكانية الأولى: يقدر على خلق "شيء لا يقدر عليه"، وبالتالي يصبح غير قادر على كل شيء بعد خلقه "هذا الشيء الذي لا يقدر عليه". الإمكانية الثانية: لا يقدر على خلق "شيء لا يقدر عليه"، وبالتالي هو غير قادر على كل شيء. فالنتيجة لا يمكن وجود مَن هو قادر على كل شيء في المنطق الصوري. وهذا ما يُعرف بـ"مفارقة راسل" – بيرتراند راسل (1872-1970) فيلسوف ورياضي إنكليزي –. وكما افترضت وجود اللّٰه في فرضية الوجود لنتابع المشوار، وافترضت وحدانية اللّٰه في فرضية الوحدانية لنتابع المشوار، سأفترض أن صفة "القادر على كل شيء" هي صفة للّٰه لنتابع المشوار.

**صفة العالِم** .. لم أجد في التوراة وملحقاتها ولا في الإنجيل وملحقاته نصا صريحا يبين أن صفة العالِم صفة للّٰه. أما في القرآن فقد وردت نصوص صريحة تبين هذه الصفة للّٰه: "هو اللّٰه الذي لا إله إلا هو عالِم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (الحشر،22). عالِم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (الجن،26). قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (المائدة،109). عالِم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (سبأ،3). إن اللّٰه عالِم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور (فاطر،38)".

القادر هو عالِم .. العالِم بكل شيء هو نتيجة منطقية للقادر على كل شيء. ذلك لأن "العلِم بكل شيء" هو بحد ذاته "شيء"، فالقادر على كل شيء قادر على ذلك الشيء "الذي هو العلِم بكل شيء". النتيجة: القادر على كل شيء هو عالِم بكل شيء. وبما أني افترضت أن صفة "القادر على كل شيء" هي صفة للّٰه في هذا المشوار فصفة "العالِم بكل شيء" هي صفة للّٰه في هذا المشوار.

**صفة العادل** .. لم أجد في التوراة وملحقاتها ولا في الإنجيل نصا صريحا يبين أن صفة العدل صفة للّه. ولكن ورد في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي: "بينة على قضاء اللّه العادل أنكم تؤهلون لملكوت اللّه الذي لأجله تتألمون أيضا (5:1)". وورد في رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس: "وأخيرا قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا (8:4)". أما في القرآن فقد ورد شيء في هذا الصدد: "إن اللّه لا يظلم مثقال ذرة وإن تكن حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (النساء،40). من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد (فصّلت،46). ولا تزر وازرة وزر أخرى (الأنعام،164)".

العدل صفة خيّرة .. ذكرت في فقرة هامشية اعتقاد أصحاب الكتب السماوية بأن اللّه هو قطب الخير. ومن المعروف أن العدل من الصفات الخيّرة في مفاهيم جميع الشعوب والأقوام، فيجب أن يكون اللّه "قطب الخير" عادلا. لذا سأفترض أن صفة "العدل" هي صفة للّه لنتابع المشوار.

الحق والباطل .. العدل هو إحقاق الحق وإبطال الباطل. لكن الحق والباطل يختلفان فيما بين الشعوب والأقوام، فما هو حق عند شعب أو قوم قد يكون باطلا عند شعب آخر أو قوم آخر، والعكس بالعكس. كما أن الحق والباطل يتغيران مع مرور الزمان وأحيانا بتغير المكان حتى عند نفس الشعب وعند نفس القوم "كالخير والشر تماما". إذاً حتى لو كانت صفة العدل هي صفة للّه فيبقى العدل ذاته مرتبطا بالحق والباطل، والحق والباطل هما نسبيان وليسا مطلقان.

**مقارنة جوهرية** .. تؤمن جميع الشعوب والأقوام بوجود الكواكب والنجوم وبصفاتها، وتؤمن بوجود الذرات والخلايا وبصفاتها، ولا تؤمن جميع الشعوب والأقوام بوجود اللّه وبصفاته المذكورة في الكتب السماوية. هذا على الرغم من أن صفات اللّه كصفات الإنسان واقعية ومحسوسة ومدركة، بينما صفات الكواكب والنجوم مفعمة بأرقام لا متناهية في الكبر أقرب للخيال من الواقع، وصفات الذرات والخلايا مفعمة بأرقام لا متناهية في الصغر أقرب للخيال من الواقع أيضا، والصفات والأرقام هذه في الحالتين هي احتمالية غير دقيقة وغير يقينية علاوة على أنها غير محسوسة وغير مدركة.

ليس لدي ما أقوله عن تلك الصفات والأرقام، وأنا حر بقبولها وتصديقها أو عدم قبولها وتكذيبها طالما أنها احتمالية غير دقيقة وغير يقينية علاوة على أنها غير محسوسة وغير مدركة. إلا أني على أي حال مُجبر على قبول وتصديق نتائجها التطبيقية المحسوسة والمدركة: كالأقمار الصناعية التي تُبث منها القنوات الفضائية، والأقمار الصناعية المخصصة للاتصالات، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، تلك الأقمار الصناعية المبنية على تلك الصفات والأرقام للكواكب والنجوم، وإن كانت تلك الصفات والأرقام احتمالية غير دقيقة وغير يقينية؛ وكذلك المفاعلات النووية في استخراج الطاقة والأبحاث العلمية في جميع المجالات السلمية والحربية، تلك المفاعلات النووية المبنية على تلك الصفات والأرقام للذرات، وإن كانت تلك الصفات والأرقام احتمالية غير دقيقة وغير يقينية؛ هذا إضافة للنتائج العلمية التطبيقية القيمة في مجال الوراثة التي أوصلت للاستنساخ، ومن جهة أخرى لزرع أعضاء حيوية وحتى لتشكيل خلية، وجميعها نتائج تطبيقية مبنية على تلك الصفات والأرقام

للخلايا، وإن كانت تلك الصفات والأرقام احتمالية غير دقيقة وغير يقينية؛ هذا علاوة على استثمار ثروات الأرض حتى من أعماق المحيطات، وذلك بعد اكتشاف هذه الثروات من أعالي السماوات، تلك الاكتشافات والاستثمارات مبنية على نتائج الأبحاث الجيولوجية، وإن كانت تلك النتائج احتمالية غير دقيقة وغير يقينية. ومن المعروف أن الأبحاث العلمية ونتائجها العملية والتطبيقية والاكتشافات والاستثمارات في جميع المجالات مبنية جميعا على المنطق العلمي، الذي نواته المنطق الصوري، وليست مبنية على منطق الكتب السماوية.

والسؤال الآن: ما هي النتائج العملية والتطبيقية المفيدة للبشرية والإنسانية المبنية على صفات اللّه، تلك الصفات الواقعية والمحسوسة والمدركة واليقينية؟!

لا بد من أن يكون عند أصحاب الكتب السماوية "الذين اختارهم اللّه شعبا له، والذين صلب اللّه نفسه ليكفر عن خطاياهم، والذين أعزهم اللّه بدينهم، والذين ادخلوا اللّه في حزبهم" ما يقولونه عن النتائج العملية والتطبيقية المفيدة للبشرية والإنسانية المبنية على صفات اللّه الوارد ذكرها في كتبهم السماوية. وربما يعتبرون حتى الحروب التي قاموا بها باسم اللّه ضد البشرية والإنسانية ولمحو وإبادة البشرية والإنسانية على مر الآلاف من السنين، ويقومون بها حتى الآن، هي لمصلحة البشرية والإنسانية استنادا لمنطق كتبهم السماوية.

**القضايا** .. وصلت أخيرا إلى القضايا التي أطرح التساؤلات المنطقية تعليقا على أحداثها، وأطرح التساؤلات الفلسفية تعليقا على أحكامها. وقبل عرض تلك القضايا وطرح التساؤلات أُذكّر بالفرضيات والتساؤلات.

الفرضيات .. يوجد إله واحد "اللّه"، هو ذاته الإله المُعرّف من خلال صفاته المذكورة في الكتب السماوية، فهو "القادر على كل شيء"، وهو "العالِم بكل شيء"، وهو "العادل وقطب الخير".

التساؤلات .. تساؤلات منطقية تدور حول أحداث ذُكرت في الكتب السماوية أرى أنها لا تتوافق مع صفات اللّه "القادر على كل شيء، والعالِم بكل شيء"؛ وتساؤلات فلسفية تدور حول أحكام ذُكرت في الكتب السماوية أرى أنها لا تتوافق مع صفات اللّه "العادل وقطب الخير" استنادا للمبادئ الفطرية للأخلاق والتشريعات البشرية والإنسانية.

ما أراه عدم توافق في هذه التساؤلات قد يكون سببه جهلي اللغوي أو جهلي الديني أو جهلي الفلسفي أو حتى جهلي المنطقي "وما أكثر جهلي". فإذا كان جهلي هو السبب في رؤيتي عدم التوافق في جميع هذه التساؤلات فتصبح هذه التساؤلات هباء منثورا وينتهي المشوار. أما إذا وجد حتى لو تساؤل واحد لم يكن سببه جهلي فيتحول التساؤل هذا للتساؤل التالي: هل للّه حقا صلة بتلك الأحداث والأحكام؟! أم أن تلك الأحداث والأحكام على مبدأ ما ورد في القرآن: "فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (البقرة،79)"؟!

**قضية الخلق** .. ورد في التوراة في أحداث الخلق النص التالي: "في البدء خلق اللّه السماوات والأرض.

وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح اللّه يرف على وجه المياه. وقال اللّه ليكن نور فكان نور. ورأى اللّه النور انه حسن. وفصل اللّه بين النور والظلمة. ودعا اللّه النور نهارا والظلمة دعاها ليلا. وكان مساء وكان صباح يوما واحدا. وقال اللّه ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعمل اللّه الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا اللّه الجلد سماء. وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا. وقال اللّه لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا اللّه اليابسة أرضا. ومجتمع المياه دعاه بحارا. ورأى اللّه ذلك انه حسن. وقال اللّه لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه. ورأى اللّه ذلك انه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا. وقال اللّه لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل. وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك. فعمل اللّه النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم. وجعلها اللّه في جلد السماء لتنير على الأرض. ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى اللّه ذلك انه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا. وقال اللّه لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء. فخلق اللّه التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى اللّه ذلك انه حسن. وباركها اللّه قائلا أثمري واكثري وأملاي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح يوما خامسا. وقال اللّه لتخرج الأرض ذوات انفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش ارض كأجناسها. وكان كذلك. فعمل اللّه وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى اللّه ذلك انه حسن. وقال اللّه نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق اللّه الإنسان على صورته. على صورة اللّه خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم. وباركهم اللّه وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال اللّه إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا. لكم يكون طعاما. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب اخضر طعاما. وكان كذلك. ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسن جدا. وكان مساء وكان صباح يوما سادسا. فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ اللّه في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك اللّه اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل اللّه خالقا (التكوين1) و(التكوين2:1-3)".

**تساؤل منطقي** .. ما يُلفت الانتباه في النص هو رؤية اللّه بعد خلقه شيئا وبعد عمله شيئا "أنه حسن" وفي

الختام رؤية الله كل ما عمله "فإذا هو حسن جدا". ألم يعلم الله "العالِم بكل شيء" بحسن الشيء الذي سيخلقه قبل خلقه هذا الشيء، وبحسن الشيء الذي سيعمله قبل عمله هذا الشيء؟ ماذا كان سيفعل لو لم يرى الحسن في شيء خلقه أو في شيء عمله؟ هل كان سينحرف عن مخططه في خلقه وعمله؟ هل كان لديه مخطط لخلقه وعمله أم كان في حقل تجارب لخلقه وعمله؟

هل أراد الله من هذا الجهد والعناء كله في الخلق والعمل طوال ستة أيام متواصلة أن يبين لنا مباركته وتقديسه لليوم السابع "وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا (التكوين2:3)"؟ إن كان هذا حقا، ألم يقدر الله "القادر على كل شيء" أن يبين لنا ذلك بأسلوب آخر دون ذلك الجهد والعناء؟

لم أجد في الإنجيل وملحقاته ولا في القرآن قصة تروي أحداث الخلق كالقصة المروية في التوراة، ولكن ورد في القرآن تأكيد لفحوى قصة الخلق: "الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش (السجدة32:4)". وفي موضع آخر ورد توضيح لمدة اليوم عند الله: "وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (الحج22:47)".

**تساؤل منطقي** .. يتضح من القولين أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في "ستة آلاف سنة مما نعد". فلماذا خلق الله السماوات والأرض وما بينهما في "ستة آلاف سنة مما نعد" ولم يقل للسماوات والأرض وما بينهما كن فيكون "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يس36:82)"؟

**قضية المعصية** .. لم أجد في التوراة وملحقاتها نصا صريحا ذُكر فيه إبليس. أما في الإنجيل وملحقاته فقد ذُكر إبليس إحدى وثلاثون مرة. وذُكر في القرآن إحدى عشرة مرة، وعلى سبيل المثال: "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أاستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين. قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم. قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين. قال فالحق والحق أقول. لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (ص38:71-85)".

أما الشيطان فقد ذُكر في التوراة خمسة عشرة مرة، وذُكر في الإنجيل وملحقاته خمس وخمسون مرة، وتجمع تلك النصوص على الأعمال الشريرة للشيطان. وذُكر الشيطان في القرآن أربع وستون مرة، وعلى سبيل المثال: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (البقرة2:35-36)".

فيما يتعلق بالعلاقة بين إبليس والشيطان وجدت في رؤيا يوحنا اللاهوتي النصين التاليين: "فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته (9:12). فقبض التنين على الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة (2:20)". أفهم من كلا النصين أن إبليس هو ذاته الشيطان.

لم أجد في القرآن نصا يبين علاقة مباشرة بين إبليس والشيطان. إنما وجدت نصا يصف إبليس بالرجيم "قال فاخرج منها فإنك رجيم (ص،77)". ووجدت نصين يصفين الشيطان بالرجيم "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (النحل،98). قالت ربِ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (آل عمران،35-36)". إضافة لذلك: النصوص التي ورد فيها ذكر إبليس تتحدث عن معصية إبليس لله ووعده له بإغواء العباد أجمعين إلا المخلصين، والنصوص التي ورد فيها ذكر الشيطان تتحدث عن إغواء الشيطان لهؤلاء العباد، وكأنها تطبيق لوعد إبليس لله بإغواء هؤلاء العباد. بناءا على هذه المعلومات والمحاكمات سأفترض أن إبليس هو ذاته الشيطان في هذا المشوار.

**تساؤل منطقي** .. ألم يعلم الله "علام الغيوب (المائدة،109)" بأن إبليس لن يسجد لآدم؟ ألم يعلم الله "العليم بذات الصدور (فاطر،38)" بما سيجيبه إبليس عندما سأله: "ما منعك أن تسجد (ص،75)"؟ لو كان إبليس قد استجاب لأمر الله وسجد لآدم كبقية الملائكة فبمَن سيملأ الله جهنم "لأملأن جهنم منك وممَن تبعك منهم أجمعين (ص،85)"؟

المعصية .. ذكرت في فقرة هامشية اعتقاد أصحاب الكتب السماوية: أن الله هو قطب الخير "الرحمن الرحيم (الفاتحة،1)"، وأن الشيطان هو قطب الشر "الشيطان الرجيم (النحل،98)"، وأن الشيطان أصبح قطبا للشر نتيجة معصية أمر الله "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين (ص،72-74)".

التساؤل الأول: هل كانت المعصية صدفة أم كان الله قد خطط لها؟ إذا كانت المعصية صدفة، فهذا يناقض قول الله "قد جعل الله لكل شيء قدرا (الطلاق،3)". وأما إذا كان الله قد خطط لها، فحكم الله "قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (ص،77-78). قال فالحق والحق أقول. لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (ص،84-85)" يناقض قول الله "وما ربك بظلام للعبيد (فصّلت،46)".

التساؤل الثاني: هل خلق الله جهنم قبل المعصية أم خلقها بسبب المعصية؟ إذا كان الله قد خلق جهنم قبل المعصية، وكانت المعصية صدفة ولم يكن الله قد خطط لها، فلمَن خلق الله جهنم؟ وأما إذا كان الله قد خلق جهنم بسبب المعصية، وكانت المعصية صدفة ولم يكن الله قد خطط لها، فيكون الله قد انحرف عن مخططه في الخلق.

الأهم من المعصية – وكونها كانت صدفة أم مخطط لها، وكون جهنم قد خُلقت قبلها أو بسببها – الأهم من هذا كله هو استغلال أصحاب تلك المعتقدات هذه المعصية لتحميل الشيطان أخطائهم وخطاياهم.

**قضية الخطيئة** .. ورد في التوراة في خلق آدم وحواء النص التالي: "وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ في انفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية. وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذي جبله. وانبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر. وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس. اسم الواحد فيشون. وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد. هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون. وهو المحيط بجميع ارض كوش. واسم النهر الثالث حداقل. وهو الجاري شرقي أشور. والنهر الرابع الفرات. واخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت. وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده. فاصنع له معينا نظيره. وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء. فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره. فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام. فاخذ واحدة من أضلاعه وملا مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا. وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان. وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مئزر. وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك انك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرا اكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود

عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والى تراب تعود. ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي. وصنع الرب الإله لآدم وامرأته اقمصة من جلد والبسهما. وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي اخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة (التكوين2:7-25) و(التكوين3)".

**تساؤل منطقي وفلسفي** .. من المعروف أن الصدق من المبادئ الفطرية للأخلاق ومن الصفات الخيّرة عند جميع الشعوب والأقوام، فيجب أن يكون الله "قطب الخير" صادقا. فلماذا كذب الله على آدم في قوله له: "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت (التكوين2:18)"؟ ألم يعلم الله "العالِم بكل شيء" أن الحية ستُعلم المرأة بهذه الكذبة؟ ألم تكن الحية صادقة في قولها للمرأة بينما كان الله كاذبا في قوله لآدم؟ ألا زال الله هو قطب الخير رغم كذبته هذه؟
لماذا لم يكذب الله على آدم ويقول له: "وأما شجرة الحياة فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"؟ خاصة وأن شجرة الحياة أكثر خطورة على الله من شجرة معرفة الخير والشر، لأن الأكل من شجرة الحياة سيحدّ من قدرة الله، بخروج سلطة الموت عن قدرته. ماذا لو كان آدم والمرأة قد أكلا من شجرة الحياة، فهل سيبقى الله قادرا على كل شيء، بعد خروج سلطة موت آدم والمرأة عن قدرته؟

لم أجد في الإنجيل وملحقاته قصة تروي أحداث خلق آدم والمرأة كالقصة المروية في التوراة، ولكن ورد في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس العبارة التالية: "وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي (1تيموثاوس2:14)".

كذلك لم أجد في القرآن قصة تروي تلك الأحداث كالقصة المروية في التوراة، ولكن ورد في القرآن تصوّر آخر لتلك الأحداث، أذكر على سبيل المثال النص التالي: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (البقرة2:35-36)". فالقرآن لم يذكر شيئا عن إغراء الحية للمرأة، ويحمّل الشيطان مسؤولية خروج آدم وزوجه من الجنة. على أي حال أيّا كان المسبب في خروج آدم وزوجه من الجنة "الحية أم الشيطان" فالنتيجة هي انحراف الله عن مخططه في عيش آدم وزوجه في الجنة.

الخطيئة .. يُعرف إغراء الحية للمرأة وما تلاه من أحداث حتى خروج آدم وزوجه من الجنة بـ"الخطيئة"، الخطيئة

التي سببت حرمان البشرية من الحياة في الجنة. لا أدري كيف تُبنى معتقدات على مجرد إغراء حية لامرأة، حتى لو كان ذلك ممكنا بشكل من الأشكال. أعتقد أن أصحاب تلك المعتقدات لم يكتفوا بالشيطان لتحميله أخطائهم وخطاياهم بل أضافوا له حواء لتحميلها مسؤولية خروجهم من الجنة.

**قضية القصاص** .. ورد في القرآن: "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون (البقرة،179)". وهو توجيه من الله للإنسان بالقصاص. وما يعنيني من القصاص هو قصاص الله ذاته من مخلوقاته حسب ما ذُكر في الكتب السماوية. فقد ورد في التوراة في أحكام الله على مقترفي الخطيئة النص التالي: "فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرا اكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والى تراب تعود (التكوين،3:14-19)".

**تساؤل فلسفي** .. من الناحية الأخلاقية كان من المفروض على الله مكافئة الحية على صدقها في قولها للمرأة، وذلك تشجيعا لقطبه "قطب الخير". وكان من المفروض على الله الاعتذار لآدم على كذبه عليه، وذلك نبذا لقطب الشيطان "قطب الشر".

وبدلا من ذلك كان حكم الله على الحية: "فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك. واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (التكوين،3:14-15)". إذا تفهّمنا أن القضية بالنسبة لله كانت قضية سلطوية "معرفة الخير والشر" وليست قضية أخلاقية "صدق وكذب" فيمكن تفهّم حكمه على الحية مقترفة الذب من هذا المنظار. لكن يبقى التساؤل: لماذا شمل ذلك الحكم نسل الحية؟

وكان حكم الله على المرأة: "وقال للمرأة تكثيرا اكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك (التكوين،3:17)". واستمر هذا الحكم على نسل المرأة.

وكان حكم الله على آدم: "وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب والى تراب تعود (التكوين،3:18-19)". واستمر هذا الحكم على نسل آدم.

كانت أحكام الله "الأحكام الإلهية" هذه أحكام على مقترف الذنب وعلى نسله، ولم تقتصر على

مقترف الذنب وحده، كما هو معروف في أحكام الشرائع والقوانين البشرية والإنسانية "الأحكام الوضعية"، فأيهما أكثر عدلا في هذه الحالة "الأحكام الإلهية أم الأحكام الوضعية"؟!
ما علاقة لعن الله للأرض بالذنب الذي اقترفه آدم؟ إذا كان السبب لأن جسد آدم من تراب الأرض "وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض (التكوين2:7)" لكن الله ذاته نفخ في أنف آدم نسمة حياة فصار آدم نفسا حية "ونفخ في انفه نسمة حياة. فصار آدم نفسا حية (التكوين2:7)". فلولا نسمة الحياة هذه من الله لبقي آدم جسدا هامدا غير قادر على اقتراف الذنوب. فمَن مِن المفروض أن يُلعن على اقتراف آدم لذنوبه؟ هذا الحكم المعوج لله أجاب على سؤال شغلني عقودا من الزمن، والسؤال: من أين جاء نهج الأحكام المعوجة لأصحاب تلك المعتقدات؟

لم أجد في الإنجيل وملحقاته ولا في القرآن قصة تروي تلك الأحكام كالقصة المروية في التوراة، ولكن ورد في القرآن حكم عام على آدم وزوجك يتوافق مع جوهر تلك الأحكام، وأذكر على سبيل المثال النص التالي: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (البقرة2:35-36)".

**تساؤل منطقي** .. لماذا حمّل الله أبناء آدم وزوجه أوزار أبويهم بإبقائهم على الأرض ولم يعيدهم إلى الجنة استنادا لقوله: "ولا تزر وازرة وزر أخرى (الأنعام6:164)"؟

**الله أم إبراهيم** .. ورد في التوراة: "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء (التكوين19:24)". وقبل أن يمطر الله كبريتا ونارا من عنده من السماء على سدوم وعمورة، وفي طريقه إلى سدوم، ظهر الله لإبراهيم أمام باب خيمة إبراهيم وجرت بينهما محاورة بهذا الخصوص ذُكرت في التوراة: "فقال الرب هل اخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله. وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض. لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به. وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إلي. وإلا فاعلم. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم. وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب. فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم. عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من اجل الخمسين بارا الذين فيه. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا. فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة فإني اصفح عن المكان كله من أجلهم. فأجاب إبراهيم وقال إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون بارا خمسة. أتهلك كل المدينة بالخمسة. فقال لا اهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا افعل من اجل الأربعين. فقال لا

يسخط المولى فأتكلم. عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا افعل إن وجدت هناك ثلاثين. فقال إني قد شرعت اكلم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من اجل العشرين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط. عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال لا اهلك من اجل العشرة. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه (التكوين،18:17-33)".

**تساؤل فلسفي** .. باللّه عليكم مَن كان أكثر عدلا اللّه أم إبراهيم؟ حيث يقول إبراهيم للّه بصيغة الوعظ: "حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا (التكوين،18:25)".

باللّه عليكم انظروا كيف يُفسّر هذا النص في الكتاب المقدس: "هل كان اللّه ظالما لشعب سدوم؟ هل فكر في أن يهلك البار مع الأثيم؟ على العكس، لقد تجلت عدالة اللّه في: (1) موافقته على أن يعفو عن المدينة لو وجد فيها عشرة أبرار، (2) إبدائه رحمة عظيمة من نحو لوط، الذي يبدو أنه كان الرجل الوحيد في المدينة، الذي كان له علاقة مع اللّه (مع أن هذا موضع شك). بل إن اللّه وصل إلى حد أنه كاد أن يجبر لوطا على ترك سدوم قبل تدميرها. فاذكر صبر اللّه عليك وأنت تتعرض لتجربة الشك في عدله. إن أعظم الناس تقوى يستحقون دينونة اللّه، فيجب أن تبتهج لأن اللّه لا ينزل علينا دينونته كما أنزلها على سدوم".

باللّه عليكم لولا وعظ إبراهيم للّه، ولولا اعتراض إبراهيم على ما سيفعله اللّه ستة مرات متتالية، هل كانت ستتجلى "عدالة اللّه" - "عدالة اللّه" بمفهوم تفسير الكتاب المقدس طبعا -؟ باللّه عليكم إذا كانت "عدالة اللّه" هذه تجيز للّه بأن يمطر من عنده من السماء الكبريت والنار على أطفال وبهائم ونباتات سدوم وعمورة، فهل في أعالي آفاق التخيلات البشرية ما يمكن تخيله لـ"ظلم اللّه" استقراءً من "عدالة اللّه" هذه؟

**إثم الآباء على الأبناء** .. عند تسليم الرب موسى لوحي الحجر الآخرين، بعد كسر موسى لوحي الحجر الأولين، يصف الرب نفسه لموسى حسب ما ذُكر في التوراة: "فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لن يبرئ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع (الخروج،34:6-7)".

**تساؤل فلسفي** .. لم أجد في الكتاب المقدس تفسيرا للعبارة: "ولكنه لن يبرئ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع". إذا كان المقصود بتلك العبارة "أن إثم الآباء لا يُبرأ منه الأبناء والأحفاد حتى الجيل الرابع" فحكم اللّه على أبناء وأحفاد مقترف الإثم "حتى الجيل الرابع" أرحم بكثير من حكمه على أبناء وأحفاد الحية وحواء وآدم "حتى أخر الأجيال" بعد الخطيئة. وفي هذا الحكم خطوة كبيرة باتجاه العدالة، ولو أنها لم تصل لعدالة الأحكام الوضعية، بالحكم على مقترف

الإثم وحده وتبرئة أبنائه وأحفاده "حتى أخر الأجيال". ويبقى التساؤل: أيمكن لعدل الله أن يتجاوز أفق مفاهيم العدل في ثقافة وفلسفة شعب الله، حيث يغفر الله الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يبرئ إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع؟

**قضية الأخلاق** .. وردت في التوراة وصايا كثيرة في مواضع عديدة، وعرض جميع هذه الوصايا يُضيّع القارئ. لذا سأسلك طريقا مختصرا من بداية نزول لوحي الحجر إلى الوصايا، التي أعتقد أنها منبع جميع الوصايا المذكورة في التوراة، والتي سأدعوها تجاوزا "الوصايا العشر"؛ وذلك على الشكل التالي: سأختار المحطات الرئيسية من قصة نزول لوحي الحجر، ثم أذكر الوصايا المنقوشة على لوحي الحجر، ثم أذكر ما دعوتها تجاوزا الوصايا العشر. وفي الختام أذكر الوصايا من وجهة نظر الإنجيل، والوصايا من وجهة نظر القرآن.

نزول لوحي الحجر .. وردت في التوراة في نزول لوحي الحجر نصوص عديدة سأختار منها النصوص التالية: "وقال الرب لموسى اصعد إلي إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم. فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى إلى جبل الله (الخروج،12:24-14). ثم أعطى – الرب – موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله (الخروج،18:31). فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما. من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين (الخروج،15:32-16). وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل (الخروج،19:32). ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين. فاكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين الذين كسرتهما (الخروج،1:34). فنحت لوحين من حجر كالأولين. وبكر موسى في الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب. واخذ في يده لوحي الحجر (الخروج،4:34)".

الوصايا المنقوشة على لوحي الحجر .. ورد في التوراة في الوصايا المنقوشة على لوحي الحجر النص التالي: "فانك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو. احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لألهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم. وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن. لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة. تحفظ عيد الفطير. سبعة أيام تأكل فطيرا كما أمرتك في وقت شهر أبيب. لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر. لي كل فاتح رحم. وكل ما يولد ذكرا من مواشيك بكرا من ثور وشاة. وأما بكر الحمار فتفديه بشاة. وإن لم تفده تكسر عنقه. كل بكر من بنيك تفديه. ولا يظهروا أمامي فارغين. ستة أيام تعمل. وأما اليوم السابع فتستريح فيه. في الفلاحة وفي الحصاد تستريح. وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطة. وعيد الجمع في أخر السنة. ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله

إسرائيل. فإني أطرد الأمم من قدامك وأوسع تخومك. ولا يشتهي أحد أرضك حين تصعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات في السنة. لا تذبح على خمير دم ذبيحتي. ولا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح. أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جديا بلبن أمه. وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر. وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه (الخروج34:14-29)".

**الوصايا العشر** .. ورد في التوراة فيما دعوتها تجاوزا الوصايا العشر النص التالي: "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من ارض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور. افتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني. واصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا. احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك. واذكر إنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. ولا تزن. ولا تسرق. ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك (التثنية5:6-21)".

الوصايا من وجهة نظر الإنجيل .. وردت في الإنجيل فيما يتعلق بالوصايا نصوص عديدة سأختار منها النصوص التالية: "يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس. فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (متى22:40). قال له أية الوصايا. فقال يسوع لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور (متى19:18). أنت تعرف الوصايا. لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. لا تسلب. اكرم أباك وأمك (مرقس10:19). أنت تعرف الوصايا. لا تزن. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. اكرم أباك وأمك (لوقا18:20)". وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ورد النص التالي: "لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك (13:9)".

الوصايا من وجهة نظر القرآن .. وردت في القرآن وصايا على منوال الوصايا في التوراة كما في النص التالي: "لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا. وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا. إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا. ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا. ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا. ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها. ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (الإسراء:22-39)".

الأخلاق .. الصفات البشرية الخيّرة "كالصدق، الأمانة، الإخلاص" هي صفات فطرية تُخلق مع النفس البشرية ولا حاجة لتعلمها على نقيض الصفات البشرية الشرّيرة "كالكذب، السرقة، الخيانة" فهي صفات مكتسبة بحاجة لتعلم. لذا تُعتبر الصفات البشرية الخيّرة من المبادئ الفطرية للأخلاق في جميع الأعراف والتشريعات والقوانين البشرية والإنسانية منذ وجود الخليقة على الأرض "كيفما أوجدت هذه الخليقة". ولم تنتظر الخليقة وحضاراتها العريقة على مر الآلاف من السنين حتى نزول الكتب السماوية لتتعلم منها هذه الأخلاق الخيّرة. ما يعنيني من الوصايا العشر هو ما يتوافق مع المبادئ الفطرية للأخلاق، كالوصايا الثلاثة التالية: "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق". حتى وإن كان مفهوم الزنى يختلف من شعب لآخر ومن قوم لآخر.

**تحريض لله بني إسرائيل على سلب المصريين** .. ورد في التوراة قصة عبودية بني إسرائيل من قِبل المصرين، وقصة خروجهم بعدها من مصر. وما يعنيني من هاتين القصتين هو تحريض الله بني إسرائيل على سلب المصريين قبل خروجهم من مصر، كما ورد في التوراة: "وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين. فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين (الخروج.3:21-22)".

**تساؤل قانوني** .. أليس في نص التوراة هذا تحريض على السلب المخطط والمنظّم؟ أليس السلب سرقة؟ أين الوصايا العشر "ولا تسرق (التثنية.5:19)" من هذا التحريض على السرقة المخططة والمنظّمة؟

هل استعباد المصريين لبني إسرائيل يبرر للّه تحريض بني إسرائيل على سلب المصريين؟ إذا فرضنا أن هناك مَن يربط بين هذين الحدثين، فسأبيّن أن هذا الربط مرفوض من الناحية القانونية. فبغض النظر عن رفض العبودية من الناحية الإنسانية، كانت العبودية شرعية في تلك العصور، وشرعية حتى في الوصايا العشر "وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك (التثنية، 14:5)"، بينما السرقة لم تكن يوما شرعية في أي عصر من العصور، ولم تكن شرعية حتى في الوصايا العشر "ولا تسرق (التثنية،19:5)".

وحتى إذا فرضنا أن استعباد المصريين لبني إسرائيل كان غير شرعي "كحالة فريدة في التاريخ"، بغض النظر عما إذا كان استعباد المصريين لبني إسرائيل هو حقيقة تاريخية أم أسطورة توراتية، فالرد على خطأ "العبودية" بخطأ "السلب" هو أيضا خطأ.

**قضية العبودية** .. ورد في التوراة في قصة نوح وأولاده بعد الطوفان النص التالي: "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض. وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه واخبر أخويه خارجا. فاخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لاخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم. ليفتح اللّه ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبدا لهم (التكوين،9:18-27)".

**تساؤل توضيحي** .. لماذا لعن نوح كنعان واستعبده لسام ويافث؟ أليس حام "أبو كنعان" هو الذي ابصر عورة أبيه واخبر أخويه خارجا، كما ورد في النص: "فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه واخبر أخويه خارجا (التكوين،9:22)"؟ فلو كان كنعان هو المقصود لوجب ورود القول التالي: فابصر كنعان عورة جده واخبر عمّيه خارجا؟

إذا كان قد التبس الأمر على نوح بعد سكره، ولم يعد يميّز بين ابنه حام وحفيده كنعان، فلماذا لم يزيل اللّه "العالِم بكل شيء" هذا الالتباس ليمنع الظلم عن كنعان "وهو القادر على كل شيء"؟ أم أن اللّه لم يدرك الالتباس في حكم نوح على كنعان، لأنه حكم معوج على نهج أحكامه؟

**تساؤل فلسفي** .. إذا تجاوزنا حكم نوح الظالم بحق كنعان، واعتبرنا أن مبادئ حقوق الإنسان لم تكن قد وصلت كرم نوح بعد، فلماذا لم ينقض اللّه حكم نوح هذا استنادا لمبادئ حقوق الإنسان؟ أم أن مبادئ حقوق الإنسان التي خلقها الإنسان، والتي تُحرّم استعباد الإنسان للإنسان، لم تكن قد وصلت عرش اللّه

بعد؟ هل وصلت مبادئ حقوق الإنسان عرش الله؟ إذا كانت قد وصلت عرش الله، فلماذا لم يحرّم الله على أصحاب كتبه استعباد الإنسان للإنسان حتى الآن؟

**نشوء العنصرية** .. ألم يصبح حكم نوح باستعباد سام ويافث لكنعان تبريرا لاستعباد ابن يافث "العنصر الأبيض" لابن حام "العنصر الأسود" على مدى مئات السنين بعد اكتشاف القارتين الأمريكيتين؟ ألم يصبح هذا الاستعباد سبب استعلاء العنصر الأبيض على العنصر الأسود ونشوء العنصرية؟

**إسماعيل** .. ورد في التوراة في قصة إسماعيل ابن إبراهيم من هاجر النص التالي: "وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة. أدخل على جاريتي. لعلي أرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراي. فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له. فدخل على هاجر فحبلت. ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها. فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك. أنا دفعت جاريتي إلى حضنك. فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها. يقضي الرب بيني وبينك فقال أبرام لساراي هوذا جاريتك في يدك. افعلي بها ما يحسن في عينيك. فأذلتها ساراي فهربت من وجهها. فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور. وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين. فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وأنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع اخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل رئي. لأنها قالت أههنا أيضا رأيت بعد رؤية. لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي. ها هي بين قادش وبارد. فولدت هاجر لأبرام ابنا. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام (التكوين16)".

**إسحاق** .. ورد في التوراة في قصة إسحاق ابن إبراهيم من سارة النص التالي: "ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا. فأجعل عهدي بيني وبينك أكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا. أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم. لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم. وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من

بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي. وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون. فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة. وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم. فاخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه. وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه. وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فاخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون. لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا. اعجني واصنعي خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر واخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا. وقالوا له أين سارة امرأتك. فقال ها هي في الخيمة. فقال إني ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة ابعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت. هل يستحيل على الرب شيء. في الميعاد ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة لم اضحك. لأنها خافت فقال لا بل ضحكت (التكوين17) و(التكوين18:1-15)".

**الست والجارية** .. ما سبب الصحوة المفاجئة لله بزيارته لإبراهيم في خيمته، وتعهده له بحمل سارة ابنا في

وقت "وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء (التكوين11:18)"؟ إذا كان السبب هو بقاء نسل إبراهيم، فإن لإبراهيم ولدا أسمه إسماعيل، وقال الله فيه لإبراهيم: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة (التكوين17:20)". إذاً لا خوف على انقطاع نسل إسماعيل، وبالتالي لا خوف على انقطاع نسل إبراهيم.

استنادا لما سبق يمكن الجزم أنه ليس الخوف على انقطاع نسل إبراهيم هو سبب الصحوة المفاجئة لله، فما هو السبب إذاً؟ لقد ورد في نفس المقابلة بين الله وإبراهيم: "وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده (التكوين17:18-19)".

لقد اتضح السبب الآن: يريد الله أن يقيم عهده مع إسحاق ابن سارة وليس مع إسماعيل ابن هاجر، هذا على الرغم من أن إسماعيل كان فتى في الثالثة عشرة من عمره بينما لم تحمل سارة بإسحاق بعد. إذاً يريد الله – بتعبير أهل بلدتي – أن يقيم عهده مع ابن الست "السيدة" وليس مع ابن الجارية "العبدة".

**قضية العدد سبعة** .. ما لا يمكن تجاهله هو المكانة الخاصة والمتميزة للعدد سبعة وللترتيب السابع في الكتب السماوية. وسأعرض فيما يلي لمحة سريعة عما وجدته في هذا الصدد:

ورد في التوراة وملحقاتها العدد سبعة أربع مائة وثلاثون وخمسون مرة، والترتيب السابع مائة وسبعة عشرة مرة. وهذا بحد ذاته لافت للانتباه. وربما يكون أهم الأشياء التي عددها سبعة هي أيام الأسبوع، التي ورد ذكرها في قصة الخلق، وأهم شيء ترتيبه السابع هو اليوم السابع "وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا (التكوين2:3)".

وورد في الإنجيل وملحقاته العدد سبعة اثنا وسبعون مرة، والترتيب السابع ثمان مرات. وهذا غير لافت للانتباه. أما ما هو لافت للانتباه فهو ما ورد في رؤيا يوحنا اللاهوتي: "واكتب إلى ملاك الكنيسة التي في ساردس. هذا يقوله الذي له سبعة أرواح الله والسبعة الكواكب. أنا عارف أعمالك أن لك اسما انك حي وأنت ميت (3:1)". وتفسير الكتاب المقدس لعبارة "الذي له سبعة أرواح الله" أنها تسمية أخرى لروح القدس، ولم أجد في الكتاب المقدس ما المقصود بـ"السبعة الكواكب". ومهما كان المقصود بالسبعة الكواكب فإن الروح القدس "الإقليم الثالث لله حسب تعاليم الثالوث" لها تسمية أخرى فيها العدد سبعة، ولن أجد ما هو أقدس من الروح القدس لتقديس العدد سبعة.

وأخيرا ورد في القرآن العدد سبعة ومضاعفاته سبع وعشرون مرة. وهذا غير لافت للانتباه. أما ما هو لافت للانتباه فهي الأشياء التي عددها سبعة "السماوات، أرضيين، المثاني"، كما في الأمثلة التالية:

السماوات السبع .. "قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم (المؤمنون86). تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (الإسراء44). فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (فصّلت،12). هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (البقرة،29). ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا (نوح،15). الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (المُلك،3). ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (المؤمنون،17). وبنينا فوقكم سبعا شدادا (النبأ،12)".

سبع أرضيين .. "الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (الطلاق،12)". أجمع المفسرون على تفسير "ومن الأرض مثلهن" على أنها سبع أرضيين.

سبع من المثاني .. "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (الحجر،87)". اختلف المفسرون في تفسير "سبعا من المثاني"، فبعضهم قال المقصود بها سورة الفاتحة "آياتها سبع"، وبعضهم قال المقصود بها السور السبع الطوال "البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال". ومهما كان التفسير، فسورة الفاتحة تتألف من سبعة آيات، وفي القرآن سبعة سور طوال.

وورد في القرآن العدد سبعة ومضاعفاته للتعظيم والتهويل، كما في الأمثلة التالية:

التعظيم .. "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم (لقمان،27). مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (البقرة،261)".

التهويل .. "وإن جهنم لموعدهم أجمعين. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (الحجر،43-44). خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه (الحاقة،30-32). استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (التوبة،80). وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (الحاقة،6-7)".

وورد في القرآن العدد سبعة ومضاعفاته في بعض القصص كنظيراتها من قصص التوراة، كما في المثالين التالين: "وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون (يوسف،43). واختار موسى قومه سبعين رجلا (الأعراف،155)".

**تساؤل علمي** .. لا عرف في الرياضات ميزة للعدد سبعة سوى كونه أولي، لكن من معلوم أنه يوجد عدد غير منته من الأعداد الأولية، فميزته على أنه أولي شبه معدومة. ولأعرف في القوانين الطبيعية سوى الأطياف السبعة للضوء الأبيض، وهذا الاكتشاف جاء بعد نزول الكتب السماوية، فمن أين جاءت قدسية العدد سبعة؟ أتكون جاءت من الكواكب السبعة، التي كانت معروفة في العالم القديم، كما توحي رؤيا يوحنا اللاهوتي "هذا يقوله الذي له سبعة أرواح الله والسبعة الكواكب (1:3)"؟

مقارنة طريفة .. يُقال في بلادنا أن للهرّة سبعة أرواح. وعندما كنت طفلا لم أتجاوز السنة السابعة من العمر سألت والدتي: أصحيح أن للهرّة سبعة أرواح؟ ضحكت والدتي وأجابت: لا، للهرّة روح واحدة مثلنا، ولكن المقصود بالأرواح السبعة للهرّة أنها تجتاز المآزق الخطرة التي لا تجتازها بقية الأحياء. أيقصد يوحنا اللاهوتي في رؤيته "لله سبعة أرواح" القصد ذاته الذي شرحته لي والدتي؟ إذا كان القصد ذاته فما هي المآزق الخطرة التي يمكن أن يتعرض لها الله، وهو القادر على كل شيء؟

**قضية الجن** .. لم أجد في التوراة وملحقاتها ولا في الإنجيل وملحقاته كلمة "جن". أما في القرآن فتوجد سورة اسمها "سورة الجن"، وذُكر الجن في القرآن اثنا وعشرين مرة في النصوص التالية: "وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (الأنعام،100). وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (الأنعام،112). ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم (الأنعام،128). يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (الأنعام،130). قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أدركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (الأعراف،38). ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (الأعراف،179). قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (الإسراء،88). وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الكهف،50). وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (النمل،17). قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (النمل،39). ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (سبأ،12). فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (سبأ،14). قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (سبأ،41). وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (فصّلت،25). وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (فصّلت،29). أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من

الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (الأحقاف،18). وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (الأحقاف،29). وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدوني (الذاريات،56). يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (الرحمن،33). قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا (الجن،1). وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا (الجن،5). وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا (الجن،6)".

**تساؤل علمي** .. الإيمان بوجود الجن كالإيمان بوجود الله كما ينوه عنه القرآن في النص التالي: "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (البقرة،85)".

والفارق بين وجود الله ووجود الجن هو أن وجود الله في عالم الغيب "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار (الأنعام،103)" أما وجود الجن ففي عالم الواقع. ورغم الاكتشافات الطبيعية التي قرأت عنها، والتي سمعت عنها، من الكواكب والنجوم اللامتناهية في الكبر إلى أجزاء الذرات اللامتناهية في الصغر من كائنات "مرئية وغير مرئية، مسموعة وغير مسموعة، محسوسة وغير محسوسة" لم أجد شيئا ماديا يمكن أن يكون المقصود به الجن، فمَن هو الجن؟

ربما يكون الجن قد انقرض قبل هذه الاكتشافات، وهذا وراد عمليا، فقد انقرضت مخلوقات كالديناصور. ولكن يبقى شيء محيّر في هذا الافتراض ألا وهو إبليس، فإبليس من الجن كما ورد في القرآن: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن (الكهف،50)". وورد في القرآن في موضع آخر: "قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين. قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم (ص،77-81)". وتفسير ابن كثير لهذا النص: "وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه، وسماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة، وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض. فسأل اللّه النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى". أفهم من هذا التفسير أن إبليس على الأرض ولن يهلك حتى يوم القيامة. فمَن هو إبليس؟ وأين هو إبليس؟

**التأويل والأحداث** .. هناك نقطتان جوهريتان لا بد من أخذهما بالحسبان في الإجابة على تلك التساؤلات: النقطة الأولى "التأويل" والنقطة الثانية "الأحداث".

التأويل .. ورد في القرآن: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (آل عمران،7)".

أفهم من هذه الآية أنه يوجد في القرآن آيات محكمات وآيات متشابهات، ولا يعلم تأويل الآيات

المتشابهات إلا الله. إذا كان فهمي هذا للآية صحيحا، فهذا يطرح تساؤلا أهم من جميع تلك التساؤلات، والتساؤل هو: ما هو الهدف من وجود آيات في القرآن لا يعلم تأويلها إلا الله، وما هي تلك الآيات؟ فإذا كانت تلك التساؤلات تدور حول تلك الآيات، فتصبح تلك التساؤلات هباء منثورا. أما إذا وجد تساؤل من تلك التساؤلات لا يدور حول تلك الآيات، فيحتاج هذا التساؤل لجواب.

الأحداث .. ورد في القرآن: "ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (الأنعام،25). وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (الأنفال،31). وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين (النحل،24). لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (المؤمنون،83). وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (الفرقان،5). لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (النمل،68). والذي قال لوالديه أف لكما أتعداناني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (الأحقاف،17). والذي قال لوالديه أف لكما أتعداناني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (القلم،15). إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين (المطففين،13)".

واضح من هذه الآيات أن هناك مَن شكك بواقعية أحداث ذُكرت في القرآن، في زمن نزول القرآن. وبعد مرور آلاف السنين على نزول الكتب السماوية لا بد من أن يكون قد تم بحث بعض تلك الأحداث تاريخيا. فإذا كانت تلك التساؤلات تدور حول أحداث لم يتم بحثها تاريخيا حتى الآن، فلا يمكن الإجابة على تلك التساؤلات حتى الآن. أما إذا وجد تساؤل من تلك التساؤلات حول حدث تم بحثه تاريخيا، فيحتاج هذا التساؤل لجواب.

**تساؤلات واقعية** .. حتى لا تبقى التساؤلات مجرد تأويل لأساطير الأولين، سأذكر أمثلة واقعية على أعمال وأقوال لأصحاب معتقدات الكتب السماوية، أرى في تلك الأعمال تجاهلا لصفات الله، وأرى في تلك الأقوال تجاوزات لمعتقدات الكتب السماوية.

**الدعاء** .. يدعو أصحاب معتقدات الكتب السماوية الله راجين منه تحقيق أمنياتهم. وبعضهم يبالغ في الإلحاح في رجائه، وبعضهم يبالغ في الجهر في صوته، وكأن الله حاكم ظالم أصم، يحتاج لإلحاح في الرجاء ليرق قلبه، ويحتاج لجهر في الصوت لتسمع أذنه. ويغيب عن بال هؤلاء إحدى أهم صفات الله، أليس الله "عالِم بكل شيء"؟ أليس الله "عليم بذات الصدور (فاطر،38)"؟ أليس الله "عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (سبأ،3)"؟ أليست تلك الأمنيات استنادا للآية الأخيرة في كتاب مبين؟

هذا من جهة ومن جهة أخرى ورد في القرآن: "قد جعل الله لكل شيء قدرا (الطلاق،3)". واضح من هذه الآية أن كل شيء في الكون يسير بقدر من الله، فإذا كانت أمنيات أصحاب تلك المعتقدات تتعارض مع قدر من الأقدار، فهل سيلغي الله هذا القدر تلبية لتلك الأمنيات؟ وهل هناك قدر مستقل عن باقي الأقدار؟ الكون يسير في أقداره إن توافقت مع أمنيات أصحاب تلك المعتقدات وإن تعارضت معها، فهل سيغير الدعاء لله من الواقع شيئا؟ فلماذا الدعاء لله إذاً؟

**بسم الله** .. من المعروف أن سور القرآن تبدأ بالآية "بسم الله الرحمن الرحيم (الفاتحة،1)" ما عدا سورة التوبة. هذا معناه: أن قراءة هذه الآية مرتبط بمواضع محددة في قراءة القرآن. وبعبارة أوضح: تُقرأ هذه الآية فقط قبل قراءة بداية سورة من القرآن ما عدا سورة التوبة. أما قراءة هذه الآية قبل قول أي شيء وقبل عمل أي شيء فلا أعلم حجته. إذا كانت حجته تيمما بالرسول، فالرسول وحده المخول بقراءتها قبل البدء بأقواله وقبل البدء بأعماله، لأنه مكلّف من الله بأقواله وأعماله عن طريق الوحي "وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى (النجم،3-4)". ولا أعلم إن كان الذين يبدأن أقوالهم وأعمالهم بقراءة هذه الآية مكلّفين من الله بأقوالهم وأعمالهم عن طريق الوحي؟

**المرحوم** .. ورد في القرآن: "ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (الفتح،14)". واضح من هذه الآية أن الله يغفر لمَن يشاء ويعذب مَن يشاء، وأرى فيها ترجيح للمغفرة والرحمة على العذاب "وكان الله غفورا رحيما"، مقارنة مع ما ورد في القرآن في مواضع أخرى "وأن الله شديد العذاب (البقرة،165)". فهل ترجيح المغفرة والرحمة على العذاب في تلك الآية – وربما في آيات أخرى – كاف لنعت المتوفى بـ"المغفور له" أو بـ"المرحوم"؟

**الشهيد** .. كما ورد في القرآن: "ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (البقرة،154). ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (آل عمران،169)". ولم أجد في القرآن نعت للقتيل في سبيل الله بـ"الشهيد". ربما يكون هذا النعت فقط لتميز القتيل في سبيل الله عن القتيل في غير سبيل الله.

والتساؤل في الحالتين: أليس هذا النعت في الحالتين هو استباق لحكم الله؟ إن كان المقصود من النعت في الحالة الأولى هو الدعاء لله ليغفر ويرحم المتوفى، والمقصود من النعت في الحالة الثانية هو الدعاء لله ليكون القتيل شهيدا، فهل لأمنيات البشر تأثير على أحكام الله؟

**الملك لله** .. سمعت القول "أصبحنا وأصبح المُلك لله" مرارا. ولا أعلم مصدره ولا ما هو المقصود به. والتساؤل: ألم يكن المُلك لله قبل أن نصبح؟ ولمَن سيصبح المُلك لو لم نصبح؟

**النتيجة** .. التساؤلات هذه تبين أن بعض الأحداث والأحكام في الكتب السماوية لم يظهر تأثّرها بأهم

صفات الله "القادر، العالِم، العادل"، وأن إحدى أهم صفات الله "العالِم" تغيب عن بال أصحاب معتقدات الكتب السماوية في بعض أعمالهم "كالدعاء لله". أرى أن السبب في ذلك ناتج عن خلل في نقطتين. النقطة الأولى "الصفات". والنقطة الثانية "تأثر الأحداث والأحكام بالصفات".

**الصفات** .. من المفروض أن تكون صفات الله منظومة منطقية مترابطة ومتكاملة من الصفات، وليست مجرد مجموعة عشوائية متفككة وناقصة من الصفات. وقد انتبه الفلاسفة "كالمعتزلة" لهذه النقطة منذ القديم، وقد نوهت في الفقرة الهامشية "نظرة تاريخية" لفلسفات المعتزلة في استخلاص الصفات الأساسية لله من بين الصفات المذكورة في القرآن. وبعيدا عمّا توصّل إليه المعتزلة ومَن حذا حذوهم من الفلاسفة، بينت في الفقرة الهامشية "معضلة القادر": أنه لا يوجد مَن هو قادر على كل شيء في المنطق الصوري. وهذا هو منبع الخلل في صفات الله في الكتب السماوية. وتماشيا مع الكتب السماوية، التي أجمعت على أن صفة "القادر على كل شيء" هي صفة لله، بينت في الفقرة الهامشية "القادر هو عالِم": أن صفة "العالِم بكل شيء" هي نتيجة منطقية لصفة "القادر على كل شيء". مع ذلك لم تُذكر صفة العالِم في الكتب السماوية "سوى في القرآن"، ولم يظهر تأثّر أحداث وأحكام الكتب السماوية "بما فيها القرآن" بهذه الصفة. وهذا دليل على أن صفات الله في الكتب السماوية ليست منظومة منطقية مترابطة ومتكاملة من الصفات، بل مجرد مجموعة عشوائية متفككة وناقصة من الصفات.

**تأثّر الأحداث والأحكام بالصفات** .. من المفروض أن يكون تأثّر جميع الأحداث والأحكام بصفات الله مكانيكيا، وليس تأثّر حدث أو حكم بصفة وعدم تأثّر حدث آخر أو حكم آخر بتلك الصفة مزاجيا. وأذكر مثالا على هذه المزاجية ما ورد في التوراة في الحدثين التاليين. الحدث الأول: "في البدء خلق الله السماوات والأرض .. (التكوين.1) و(التكوين.2:1-3)"، كما ذكرت في قضية الخلق. الحدث الثاني: "وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله من اجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحق ويعقوب. ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله (الخروج.2:23-25)". فالله قادر على خلق السماوات والأرض وخلق كل شيء في ستة أيام في الحدث الأول، ولكنه لم يكن قادرا على تحرير بني إسرائيل من عبودية المصرين خلال الأيام الكثيرة "حتما أكثر من ستة أيام" قبل موت ملك مصر في الحدث الثاني.

إذاً هذه التساؤلات تشكك منطقيا وفلسفيا بأن يكون لله صلة بصفات وأحداث وأحكام مذكورة في الكتب السماوية. وقبل أن أفكر بهذا الشك قال لي خوري من بلدتي: لا تسأل عقلك عن وجود الله بل اسأل قلبك. فوجود الله – حسب قوله هذا – ليس قضية منطقية بل قضية عاطفية. وخلافا لقوله هذا قرأت فيما بعد أنه يوجد برهن منطقي للرياضي والفيلسوف الألماني "غودفريد وليم لابنتس (1646-1716)":

إذا كان وجود الله ممكنا، فيكون وجود الله ضروريا. وطرح مشكلة للبرهان: هل وجود الله ممكنا؟ وبعد أكثر من قرنين من الزمن برهن الرياضي المنطقي النمساوي "كورت غويدل (1906-1978)" انطلاقا من تلك الأفكار، وبناءا على موضوعات منطقية تتوافق مع معتقدات الكتب السماوية: أن وجود الله ممكن ويوجد واحد على الأكثر. وقام بعده عدد من الرياضيين المنطقيين بتعديلات على تلك الموضوعات المنطقية، ولازال البحث مستمرا في هذا الموضوع إلى يومنا هذا. وهذا معناه: وجود براهين منطقية على وجود الله وعلى وحدانيته. التعمق في هذا الموضوع خروج عن إطار هذه التساؤلات، ومع ذلك سأذكر جوهر الانتقادات لهذه البراهين:

الانتقاد الأول .. الموضوعات المنطقية في تلك البراهين تنطلق مما تسميه "صفات كاملة، وصفات كاملة جوهرية". ولم يُذكر مثالا واحدا على هذه الصفات. فهناك شكوك في وجود مثل هذه الصفات، وإذا كانت هذه الصفات مثل "صفة القادر على كل شيء" فتكون غير ممكنة حسب "مفارقة راسل".

الانتقاد الثاني .. مفهوم "الممكن" ومفهوم "الضروري" مرتبطان بالفضاء الذي توجد فيه القضية، فما هو "ممكن أو ضروري" في فضاء ليس من الضروري أن يكون "ممكنا أو ضروريا" في فضاء آخر. وهذا موضوع فلسفي صرف الدخول فيه خروج عن إطار هذه التساؤلات.

علاوة على ذلك هذه البراهين لا تبرهن على أن الله – الذي برهنتَ على وجوده ووحدانيته – هو ذاته الخالق والمسيّر للكون. وإذا افترضنا أنه سيأتي عالم ما في عصر ما يبرهن على ذلك، فيبقى التساؤل: أيُعقل أن خالق الكون ومسيّره يهمل الكون بأسره ليشغل نفسه بفئة قليلة من سكان الأرض، وحتى لو أصبحت تلك الفئة جميع سكان الأرض، الأرض ذلك الكوكب اللامتناه في الصغر مقارنة بالنجوم اللامتناهية في الكبر التي لا حصر لها في الكون، كما يفعل الله المذكور في الكتب السماوية؟!

ازدواج الشخصية .. لا أدري كيف يستطيع المعتقدون بالكتب السماوية الذين تتطلب أعمالهم المنطق الصوري "كعلماء الرياضيات" أو المنطق العلمي "كعلماء الطبيعة" أو أي منطق كان غير منطق الكتب السماوية التوفيق بين منطق كتبهم السماوية ومنطق أعمالهم؟ ولإدراك هذا التساؤل يكفي النظر إلى القضاة الذين لا تطبق مجتمعاتهم شرائع معتقداتهم.

يقول ألبرت أينشتين: "عندما أفكر بالكون أطرح أسئلة الأطفال عن الكون". ذلك لأن أسئلة الأطفال أسئلة لازالت نقية من الانحرافات عن الفطرة البشرية، تلك الانحرافات التي يكتسبها الكبار من أيدلوجيات منحرفة عن الفطرة البشرية "كأيدلوجيات الكتب السماوية".

Halle an der Saale
2016 - 09 - 16
Germany

Dr. Mahmoud Ezzeldin
E-mail: ezzeldin@gmx.de